محاضرة

المشروع الفكري لطه عبد الرحمن

حياته

طه عبد الرحمن من مواليد عام 1944 بمدينة الجديدة المغربية، وهو أستاذ المنطق وفلسفة اللغة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة محمد الخامس الرباط، حاصل على دكتوراه السلك الثالث من جامعة السوربون سنة 1972 بإطروحة عنوانها " رسالة في البُنى اللغوية لمبحث الوجود "، ثم تحصل على دكتوراه الدولة من نفس الجامعة سنة 1985 بأطروحة " رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه " ،كان أستاذ زائر بعدة جامعات مغربية، وعضو في كثير من الهيئات والجمعيات الفلسفية في العالم ،وعضو محكم ومستشار في عدد من المجلات العلمية، له عدة مساهمات في كثير من المؤتمرات العلمية ،وهو رئيس"منتدى الحكمة للباحثين والمفكرين" الذي تأسس في المغرب بتاريخ 2002 " منتدى يضم أساتذة جامعيين من مختلف الجامعات المغربية، وله انفتاحات على الجامعات العربية وغيرها ".

طه عبد الرحمن أحد مؤسسي اتحاد كتاب المغرب ،حاصل على جائزة المغرب في العلوم الإنسانية لسنة 1988 على كتابه: " أصول الحوار وتجديد علم الكلام " ولسنة 1995 على كتابه: " تجديد المنهج في تقويم التراث ".

مِؤلفاته

توجهت إصداراته الأولى إلى مجال اختصاصه الأصلي وهو المنطق وفلسفة اللغة وكان بداية إنتاجه في نهاية السبعينيات كتابه :

- اللغة والفلسفة: رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود (بالفرنسية)، 1979.

ثم ينطلق انطلاقة متسارعة في نهاية الثمنينات مبرزا قدراته الفكرية المبدعة في نقد التصورات السائدة في الفكر العربي ظهر ذلك جليا من خلال إنتاجاته الغزيرة وتمثلت في :

- رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه (بالفرنسية)، 1985
- المنطق والنحو الصوري، 1985
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 1987
- العمل الديني وتجديد العقل، 1989

وفي التسعينيات توجه اهتمامه إلى إعادة الاعتبار للقول الفلسفي من خلال مؤلفاته الموسوعية مثل :

- تجديد المنهج في تقويم التراث، 1994
- فقه الفلسفة1– الفلسفة والترجمة، 1995
- اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، 1998
- فقه الفلسفة 2– القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، 1999

أما مطلع الألفية الجديدة في سياق النقد الأخلاقي للحداثة من خلال استثمار ولفت الانتباه وإعادة الاعتبار لأهمية التجربة الأخلاقية في التصدي للنزعات المادية ، أهم كتبه في هذه المرحلة :

- سؤال الأخلاق – مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، 2000
- حوارات من أجل المستقبل، 2000
- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2002
- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، 2005
- روح الحداثة – المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006

- الحداثة والمقاومة، 2007

ولتتوالى اصداراته تباعا دون انقطاع فأصدر :

- شرود ما بعد الدهرانية سنة 2000
- من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر
- روح الدين .. من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية سنة 2012
- سؤال المنهج .. في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد سنة 2015
- دين الحياء (الجزء الأول – أصول النظر الإئتماني
- دين الحياء : ج 2 التحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والإتصال 2017
- دين الحياء :ج3 من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني(روح الحجاب) 2017 .

منهجه

عمل طه على تأسيس مشروع فكري يجمع بين التحليل المنطقي والتشقيق اللغوي،مع الإعتماد على مفاهيم التراث الإسلامي وإضافة إليه بعض نفحات المنهج الصوفي ،يسعى طه إلى دمج المنطق في الإشتغال الفلسفي وجعله عدة منهجية ،يقول ابراهيم مشروح أنه (سعى لإدماج المنطق في الإشتغال الفلسفي والإعتداد به كعدة منهجية لا محيص للمتفلسف العربي عنها وهي قناعة ناضل من أجلها إدخر لها جهدا جهيدا)[1].

لقد أحدث طه انقلابا منهجيا في الفكر العربي المعاصر بناءا على منجزات الثورة المنطقية واللغوية في العالم المعاصر ،بإبداعه لكتابة منطقية أصيلة تربط المضامين الفكرية

[1] ابراهيم مشروح ،طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،بيروت ، ط1 ، سنة 2009 ، ص 39 .

بآلياتها ،وتجعلنا نفهم اشتغال هذه الآليات في حيوتها داخل الظاهرات الفكرية[1] ،اعتمد طه في خطابه من حيث الشكل طرق التدليل والبرهنة ،وأعطى كتاباته صيغة منطقية حيث جعل بناءها يتأسس على قاعدة الإحكام المنطقي ،أما من حيث المضمون فقد ابتعد عن المنهج الغربي الفلسفي وحاول تأسيس منهج خاص به نابع من التراث العربي الإسلامي يهدف إلى تحقيق استقلال فلسفي خاص ،وخلق فيلسوف عربي جديد مهمته تحرير القول الفلسفي العربي،فيقول بهذا الصدد في مقدمة كتابه"الحق العربي في الاختلاف الفلسفي":"السؤال الفلسفي الأحدث ليس سؤالا فاحصا لموضوعه،متوسلا بوضعه كسؤال كما نجد عند سقراط،ولا سؤالا ناقدا لموضوعه،مسلما بوضعه كسؤال كما نجد عند كانط ،وإنما سؤال يسأل عن وضعه كسؤال بقدر ما يسأل عن موضوعه،أو بلغة الفحص السقراطي سؤال يفحص وضعه كما يفحص موضوعه أو بلغة النقد الكانطي ،سؤال ينتقد وضعه كما ينتقد موضوعه"[2].

فإلى أي مدى سيستطيع طه عبد الرحمن بمشروعه الفكري ذا المرجعية العربية الإسلامية تحقيق فلسفة إسلامية في خضم المركزية الفكرية الأوروبية ؟

كيف يمكن تأسيس فكر وحداثة مستقلان عن التأثر و المركزية الأوروبية ؟

المشروع الفكري

يكتسي مشروع طه عبد الرحمن أهمية كبيرة،بالنظر إلى جدة الطرح وأصالته واعتماده مرجعية فكرية متعددة،ومحاولة تخطيه للمرجعية الغربية أو المرجعيات المستعارة على حد وهذا من أجل تقديم قراءات مغايرة للتراث العربي الإسلامي،فمشروعه الفكري هو

---

[1] عباس أرحيلة ، فيلسوف في المواجهة (قراءة في فكر طه عبد الرحمن) ،المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، سنة 2013 ، ص 26

[2] طه عبد الرحمن ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2 ، سنة 2008 ،ص14.

إحياء لمقدمات الإبداع و التجديد في الفكر العربي الإسلامي ،أي أن كل ما تم إقصاؤه أو تناسيه أو تجاهله من الفكر العربي والأسلامي الأصيل هي باب البحث فيه وإعادة إحيائه وتجديده ،فاعتبار الفكر الكلامي عبارة عن فكر غير يقيني ، ولا يعتمد على البرهنة والمنطق وجعله ضمن دائرة الخطاب السفسطائي ، كل هذا يعتبر بعيد عن العلمية والحقيقة ،إذ أن الفلسفة المعاصرة ترى أن البرهانية ترتبط فقط بالمنطق الرمزي والرياضي ،بحيث أن الخطاب الفلسفي خطاب طبيعي لأمرين إثنين هما : الإلتباسية والقياسية [1].

ظهر المشروع الفكر "طه عبد الرحمن" في مرحلة تجلى بوضوح ضعف الفكر العربي والانتشار الواسع لمفهوم الحداثة الغربية ،واستفحال التبعية للفكر الغربي ،والتأثر اللاغير محدود للمفكرين الغربيين ،فكانت أعماله توبيخا للذوبان في قيم الغرب ،ودعوة للرجوع إلى القيم الإسلامية السمحة ،فكان مساره مختلفا عن مسار باقي مفكري عصره إذ لا تعدوا أن تكون أعمالهم مجرد نشرات إخبارية لبعض الفلسفات والفلاسفة الغربيين ،من حيث نظرياتهم أو كسلوك منهجي يتبعونه دون أن ينتج لنا خطاب فلسفي حقيقي ،فأعلن الحرب على المقلدة وأنتقدهم بأنواعهم المختلفة ،يقول (أنظر كيف أن المتفلسفة العرب المعاصرين يؤولون إذ أول غيرهم ويحفرون إذا حفروا ،ويفككون إذا فككوا ،..سواء أصاب ذلك أم أخطأ ،وقد كانوا منذ زمن بعيد توماويين أو شخصانيين أو ماديين أو جدليين مثله سواء بسواء ،كما لو أن أرض الفكر لم تكن واسعة) [2].

أسس المشروع الفكري لطه عبد الرحمن

---

[1] يوسف بن عدي ،مشروع الإبداع الفلسفي العربي ، الشبكة العربية للأحاث ،بيروت ، ط1 ، سنة 2012 ،ص 13

[2] طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة 2 (القول الفلسفي) ، المركز الثقافي العربي ، مغرب ، ط1 ، سنة 1999 ، ص 12 .

1- التشقيق اللغوي والنحت المصطلحي

إن أول ما اهتم به " طه " هو مسألة اللغة والأصول اللغوية للفلسفة ،باعتبار اللغة حاملة للفكر ،فالمفهوم و الإصطلاح هي مفتاح العبور إلى التفلسف الصحيح ،وعليه عمل "طه" على التحضير لهذه العدة من فقه اللغة واللسانيات ،وأحدث ما توصلت إليه النظريات اللغوية ،إذلا يخلو مؤلف له من مفاهيم جديدة وألفاظ تراثية ،فإهمال اللغة عنده يعطيني فكر منهزم ضعيف مما يحيل المجال إلى رواج لغة أخرى أقوى وأكثر تمدن .

2-الإبداع وحق الإختلاف الفلسفي وتأسيس فقه الفلسفة

سعى "طه" إلى وضع منهجا علميا للفلسفة ،أي أنه أراد عقلنة العقل الفلسفي من خلال إنشاء فقه للفلسفة تفهم من خلاله ،ويمكن المسلمين من الإبداع الفلسفي في مجالهم التداولي ،(فينظر في الفلسفة كما ينظر العالم إلى الظاهرة رصدا ووصفا وشرحا) [1].

يبين لنا "طه" من خلال كتابه فقه الفلسفة الطريقة المثلى لتحقيق الإبداع الفلسفي :

- الإقدار على التفلسف والإبداع في الفلسفة .
- تصحيح الممارسة الفلسفية ..وتسديد مسارها لا التنقيص من شأنها ولا القدح في أهلها [2].

واستعمال لفظة " فقه "تعطي زيادة الإستغراق في التأمل وتضمن النظر في الفلسفة من خارجها (والفقه يتجاوز المعرفة بالنظر إلى صلة القول بالعمل في موقف المتفلسف أي إلى النظر في مدى إنطباق مضمون القول على سيرة صاحبه) [3].

---

[1] طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة 2 (القول الفلسفي) ، مصدر سابق، ص 13

[2] طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة 1(الفلسفة و الترجمة) ، المركز الثقافي العربي ، مغرب ، ط1 ، سنة 1995 ، ص 46

[3] نفس المصدر ، ص 28 .

يرى "طه" أن الفلسفة تتأسس على الاختلاف ولكل حقه في التفلسف ضمن دائرته الثقافية ،مع الاعتراف بأن للآخر الحق نفسه،إذ الآخرية ترد باعتبارها كيان اعطى للذات دعم لا شعوري للذات حتى تدرك وجودها ،وهذا المفهوم يصنع تنوعا معرفيا فلسفيا لا علاقة له بالمركزية الفكرة و السيطرة المعرفية ،ولعل "عبد الله إبراهيم" عبر عن هذا بقوله (حينما طالب بالاختلاف،والذي عرفه بأنه"انفصال إجرائي" عن الآخر،بما يمكن من رؤيته بوضوح كاف،وانفصال رمزي عن الذات بما يجعل مراقبة أفعالها ممكنة.والنقد هو الممارسة التي يمكن اعتبارها دعامة الاختلاف الشرعية) [1].

كما أراد "طه" تحقيق تعددية قيمية جديدة تعتمد على مبدأ تصادف القيم،وتحققها هذا يتوقف على القضاء على أسباب التي تخلق التصادم وهي آفات مثل آفة تسيب العقل،وآفة التسلط السياسي وآفة التطرف الثقافي،يقول: (ويمكن أن ندفع آفة التسيب بأن نبث في العقل قيمة الإيمان،وأن ندفع آفة التسلط بأن نبث في السياسة قيمة الخير،وأن ندفع آفة التطرف بأن نبث في الثقافة قيمة الفطرة،فإذن تعددية القيم المتصادفة،على عكس تعددية القيم المتصادمة المعاصرة،لا تسيب فيها ولا تسلط ولا تطرف) [2].

3-التقويم التراثي وهدم الحداثة الغربية وتأسيس حداثة إسلامية

لقد عمل "طه" على عدم وضع القطيعة مع التراث القديم ولا وضع الناقض له ،بل اتخذ موقفا ناهضا ومقوما له ،وهذا لا يكون إلا بالنقل الصحيح و الذي يكون من المصدر ،إذ يجب الإبداع مع النقل وتقويمه لا يكون بالإنتقاء و التفضيل بل بتقويمه كله على أسس

---

[1] عبد الله إبراهيم ، المطابقة والاختلاف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط 1 ، سنة 2008 ، ص87.

[2] طه عبد الرحمن، تعددية القيم،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،مراكش،ط 1 ،سنة 2001، ص52.

منهجية مأصولة فمنهجه في التقويم يقول "طه" :(أنه إنشاء نظرية مستقلة في تقويم التراث حرصنا فيها أشد الحرص على أن تستوفي مسائلها مقتضيات المنهجية) [1].

إن مشروعه الفكري يجمع بين النظر النقدي (التقويمي) وفعل التأسيس والبناء ،حيث يبدأ من نقد الحداثة الغربية التي يرى أن تطبيقاتها يرى طه عبد الرحمن في الحداثة الغربية بأنها حداثة لا تتوافق والطبيعة البشرية، التي تحمل قيما روحية مبنية على الأخلاق والإيمان، فالإعتماد على العقل كوسيلة وحيدة في تفسير الأمور تكون نهايتها مجهولة وغير معروفة،وهذا ما جعل كثير من مفكري الحداثة يخرجون عن المباديء الكبرى التي أسست عليها الحداثة نفسها وفقد قامت الحداثة على إنكار القيم المتعالية[2].

فطه عبد الرحمن طفرة في الفكر العربي بحيث نظر إلى مفهوم الحداثة كابداع إنساني لا تستطيع الثقافة العربية الإسلامية أن تهرب منه، ولا بد لها من التعامل معه على الوجه الذي هو عليه، بل نجده يصل لحد وصفها بأنها مواقف وفعاليات حضارية ضرورية، فطه يرى "أن الحداثة إبداع، فينبغي أن نكون مبدعين مثلهم، فإذا يتعين أن نستعيد قدرتنا الإبداعية من أسلافنا كما استعادوها هم من اليونان واللاتين ،حتى نكون حداثيين "[3].

يميز "طه" بين واقع الحداثة وروح الحداثة يقول " الروح لها تطبيقاتها لا متناهية ،وهذا التعدد في التطبيقات حقيقة لا يمكن جحدها ،فالحداثة الغربية نفسها حداثات: فالحداثة

---

[1] طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، سنة 1994 ، ص 12 .

[2] طه عبد الرحمن ، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 2002 ، ص 76.

[3] طه عبد الرحمن ،الحوار أفقا للفكر،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص 106.

الألمانية غير الحداثة الإنجليزية فكريا ،والحداثة الفلسفية الفرنسية تختلف عن الحداثة الفلسفية الأنجلوسكسونية .. وهكذا " [1] .

وعليه جعل لروح الحداثة ثلاثة مباديء لكل مبدأ ركنين إثنين :

أ-**مبدأ النقد** :ومعناه الإنتقال من حال الإعتقاد إلى حال الإنتقاد، ويعتمد هذا المبدأ على ركنين إثنين هما التعقيل والتفصيل.

ب-**مبدأ الرشد:** الذي يقوم على خروج الإنسان من حالة القصور إلى حالة الرشد،لهذا المبدأ ركنيين أساسين هما الإستقلال والإبداع.

ت-**مبدأ الشمول** :ومعناه الخروج من حال الخصوص إلى حال العموم، ويعتمد مبدأ الشمول على ركنين هما :التوسع والتعميم.

لقد كانت هذه حلول و بدائل عن الحداثة الغربية في تصور "طه" (شعرنا بحاجة المسلم المعاصر إلى فكر ديني متميز يناسب عصره ،فنكون قد أتينا بحداثة من إبداعنا لا من إبداع من هو أجنبي عنا تاريخا وتداولا) [2].

4-الإشراق العرفاني والوصول للعقل الناضج

إن اشتغال "طه" بالفكر الإسلامي وتأسيسه بالفلسفة الإسلامية وكذا محاولته تأسيس حداثة إسلامية وسعيه لخلق اصطلاح إسلامي ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا عن طريق عقل يمتلك يقين عرفاني ، فلقد دافع "طه"عن العقل العربي المسلم وحقه في تفكير مستقل ،ويضع درجات للعقلانية المؤيدة ،والتأييد أو اليقين العرفاني هو أحد درجات المعرفة العرفانية .

---

[1] طه عبد الرحمن ،الحوار أفقا للفكر، مصدر سابق، ص 75

[2] طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 2000 ، ص 225 .

لقد أدرك "طه" أن الأمة الإسلامية تعاني عجزا فكريا خطيرا ،فأنشأ مشروعه لمقاومة هذه المعاناة وكسر هذا الحصار،متقيدا بمقاصد الشريعة الإسلامية ومحاولا فك عقدة الدونية من المفكريين العرب ،ودعوتهم إلى مواجهة واقعهم ببصيرة وعزيمة ،مبتعدين عن التبعية ومتجهين نحو الإبداع .

لقد حارب طه عبد الرحمن في السنوات الأخيرة على جبهتين مزدوجتين ضد "الحداثيين"، الذين يرون في أعماله دفاعاً عن قيم وأفكار كلامية وصوفية متجاوزة، وضد الإسلاميين الذين يرون في مشروعه الأخلاقي غير الأيديولوجي نمطاً من العلمانية الملتبسة بانكفائه عن الفعل السياسي ورفضه لمنطق أدلجة الدين وتدنيسه في حلبة الصراع السياسي.

طه عبد الرحمن يدعو إلى تجاوز الإنتاج الفكري الغربي وتقديم عمل أفضل منه ،وهذا من خلال الاعتماد على آلية التأثيل والتي نرتقي بها ونتعدى آلية التأصيل، مما يمكن من إبقاء على الفكر الغربي بميزاته التي تميزه و في بيئته التي ولد فيها وبعدها محاولة إثرائه وجعله مناسب لبيئتنا وهذا لن يتجلى إلا من خلال الترجمة التأصيلية.

مشروع طه عبد الرحمن الفكري هو مشروع يحاول محاربة التقليد والتبعية في التفكير والمعرفة ،وهو مشروع يسعى لإخراج الأنا من حالة الدونية التي يحس بها وحمايته من الإنكسارية والانهزامية الفكرية والحضارية أمام عولمة الآخر قوة نفوذه وغطرسته و تعاليه ، لكن هذا لن يتحقق إلا بخروجنا من دائرة التبعية إلى الاجتهاد ومن التقليد إلى الإبداع ،طه عبد الرحمن حاول إعادة بعث الإبداع والاجتهاد في فكرنا العربي ألإسلامي ومراده من هذا ابراز أن في تراثنا الأصيل ما يمكن تقويمه واستعادته .